مجلة الرائد

العدد : ٢٣٩ الموافق في رمضان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١١ ميلادي

عنوان المقال : الفرنكوفونية وهموم العرب ! **الكاتب : د. صلاح الدين بن إبراهيم**

أضحت « الفرنكوفونية » حركة عالمية لها أبعادها الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، وتهدف إلى نشر النموذج الفرنسي ليكون لوناً منافساً في الفكر الإنساني والثقافية العالمية ، فإذا نجحت الحركة في تحقيق هذا الهدف ، فإن بعض ما تتطلع إليه الدول المنضوية تحت هذه المظلة قد يتحقق في المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية ، وتبقى فرنسا « الدولة الاستعمارية العتيدة!! » تمثل البوصلة التي توجه هذا التكتل الذي يضم في عضويته ٥١ دولة ، وعددها في ازدياد مضطرد ، ومعظمها من الدول التي استعمرتها فرنسا وتركت أثراً حاسماً في ثقافة شعوبها وألسنتها! .

ولقد داعبت فكرة « الفرنكوفونية » مخيلة الساسة والمثقفين الفرنسيين ، وبُذلت محاولات سياسية وثقافية متواصلة لإبراز صورة لها في الواقع ، وأسفر تراكم الجهود عن بلورة هذه الحركة في صورتها التنظيمية في ١٩٧٠/٣/٢٠م ، واعتُبر هذا التاريخ « اليوم العالمي للفرنكوفونية » ، وبمرور الأيام تطورت الهياكل التنظيمية ، ومن أبرزها :

١- القمة الفرنكوفونية : تجتمع مرة كل عامين في عاصمة دولة عضو ، وتضم رؤساء الدول الأعضاء في المنظمة .

٢- مؤتمر وزراء الخارجية الأعضاء.

٣- الأمانة العامة : وتسهر على تنفيذ القرارات والتوصيات الصادرة عن الجهات المسؤولة ، وقد تم إحداث منصب الأمين العام سنة ١٩٩٧م في مؤتمر قمة هانوي العاصمة الفيتنامية ، وصلاحياته تنفيذية وتمثيلية .

وأبرز الدول العربية التي تفخر بعضويتها في « الفرنكوفونية » : المغرب وتونس ومصر ولبنان – الذي تنعقد القمة التاسعة في عاصمته بيروت عند كتابة هذه السطور - ودعيت الجزائر إلى المشاركة بصفة مراقب ، وما يزال كُهَّان الفرنكوفونية يتطلعون إلى عضوية الجزائر في المنظمة ، ويتلهف التيار الجزائري الفرنكوفوني إلى تجديد الارتباط الوثيق بالثقافة الفرنسية ، لأن فصائل هذا التيار يرون أن « التعريب » الذي تبنته الجزائر بعد استقلالها عن فرنسا ، قد أفرز حضوراً قوياً للفكرة الإسلامية في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، وأن الصراع المحتدم منذ سنوات عبارة عن صورة من صور المواجهة التناقضية بين الثقافتين : « الإسلامية » و « الفرنكوفونية » ، ويرون أيضاً أنه لن يخرج الجزائر من أزمتها إلا

العودة إلى أحضان الثقافة الفرنسية وإقصاء الثقافة العربية الإسلامية!! . ألم يتواصى المبشرون بقولهم : « إن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم حين تعلموا اللغة الإنكليزية » ؟! ، أي : حين صارت الإنكليزية لغة المعرفة والثقافة!! .

إن الفرنكوفونية ليست مؤسسة اقتصادية أو تحالفاً سياسياً أهدافه محدودة فحسب ، بل هي حركة ثقافية فكرية تسعى إلى هيمنة اللسان الفرنسي والثقافة الفرنسية بكل تجلياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية .. ، وتهدف إلى تكوين محور ينافس « الكومونويلث البريطاني » والتحالف « الانجلو-أمريكاني » ، وهذه الحقائق لا تغيب عن الدول الأعضاء في منظمة الفرنكوفونية ، ولكن كل عضو يرى بمقاييسه أن منافع العضوية أكبر من آثامها!! .

ويأتي انعقاد القمة التاسعة في بيروت يوم ٢٠٠٢/١٠/١٨م – وهي قمة مؤجلة من العام الماضي بسبب زلزال ٢٠٠١/٩/١١م في أمريكا – في أجواء إقليمية وعالمية ملتهبة ، ويهمنا هنا أن نشير إلى « مأساة فلسطين » و « مشكلة العراق » و « أزمة المياه » التي أثارها الكيان العنصري الاستعماري مع لبنان .

فماذا قال أصحاب القرار في منظمة الفرنكوفونية ؟

– لقد أبدوا أسفهم على استمرار « حلقة العنف » في الأراضي الفلسطينية ، ودعوا إلى التهدئة وبدء المفاوضات السياسية ، ونادوا بتخفيف معاناة الشعب الفلسطيني ، مؤكدين أن قرارات الشرعية الدولية هي إطار الحل الصحيح !! .

– وقالوا إنهم يؤيدون نزع أسلحة الدمار الشامل من العراق ، وأن شن الحرب لنزعها ينبغي أن يكون آخر المطاف ، أي لا يُستبعد الحل العسكري!! ، وأنه لا يصح أن تنفرد دولة بمهاجمة العراق ، بل ينبغي أن يتم ذلك عن طريق المجتمع الدولي ، أي « مجلس الأمن » !! .

– ودعوا إلى حل مشكلة المياه وفق المعايير الدولية بعيداً عن لغة السلاح ، وشجعوا على « الحل الأممي » محذرين من الحلول الخلفية!! .

فهل قال المتحدثون وأصحاب القرار العربي في قمة بيروت غير هذا الذي قاله أصحاب القرار الفرنكوفوني ، ويأتي في

مقدمتهم الرئيس شيراك ؟! .

الحقيقة هي أننا لا ننتظر من منظمة الفرنكوفونية أن يكونوا أكثر عروبة من النظام العربي ، وندرك أن الأقطار العربية المنضوية تحت علم الفرنكوفونية لا تأمل من زعيمة الفرنكوفونية فرنسا أن تضحي بمصالحها من أجل عيون العرب ، ولكننا نريد من النظام العربي أن يكون واضحاً في مواقفه من قضايا الأمة ، وصادقاً في سلوكه تجاهها ، لأن ما قالته الفرنكوفونية مليئاً بالألغام في المواقف ، وممزقاً غير متماسك من الناحية العدلية والمصداقية الإنسانية .. وما قالوه يقوله الحكام العرب ، وإن تباينت المعاني ، وهو مرفوض لأنه موقف منهزم جبان!! .

إن الموقف العربي من مأساة فلسطين والعراق وقضايا الأمة هو الهزيل المهلهل ، لذلك جاء موقف الفرنكوفونية مهلهلاً ، مع فارق بسيط وهو : إن العرب لا يتبعون كلامهم – على الرغم من إشكالاته – بعمل إيجابي ، أما فرنسا وقوى سياسية فرنسية أخرى فإنها تتحرك بفاعلية لتحقيق مصالحها ، وقد تكون مصالحها الحقيقية بعيدة عن كلامها الذي رغب العرب في سماعه!! ، وهي لا تشعر بأي حرج في تناقض كلامها ومواقفها ، لأنها تعلم أن العرب يحبون سماع كلام يرضيهم فقالته في حدود ما يرغبون في سماعه!